

الْقَائِمُونَ بِأَمْرِ الدَّعْوَةِ بَيْنَ الْإِبْدَاعِ وَالْإِبْتِدَاعِ

بِإِسْمِ
الْمَكْتَبَةِ
فَوْزَى نُجَيْدٍ الْعَالِمِ سَلَامَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين ، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته وتمسك بسنته إلى يوم الدين .

أما بعد . . .

لما لا شك فيه أن الدعوة إلى الله - تعالى - مربية شرعية ، وضرورة اجتماعية وذلك للأسباب الآتية :

أولاً : الناس في حاجة إلى من يبين لهم ما أنزل إليهم من ربهم وليقيم الحجة عليهم ، وهذه من مهمات رسل الله - تعالى - إذ لا عقوبة دون نذارة ، وصدق الله إذ يقول : **وَلَنُنَزِّلُ قَوْلًا مَّا أُنْذِرُ أَهْلَهُمْ فِيهِمْ هَاطِلُونَ** (١) ، ويقول : **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا** (٢) .

ثانياً : ديننا الذي نعيش فيه . فيها ما فيها من نوازع الشر والمطامع والأهواء وأصحاب هذه الأهواء والمطامع يودون أن تصبح هذه الأهواء والاضلالات في المجتمع كله قال تعالى : **وَدُّوا لَوْ تُكْفِرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً** (٣) .

(١) سورة البقرة : ١٧٧

(٢) سورة البقرة : ١٢٩

(٣) سورة الاسراء من الآية : ١٥

(٤) سورة النساء من الآية : ٨٩

ولذلك ترى هؤلاء يتعاونون ، والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمعسر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم فسوا الله فمنهم إن المنافقين هم الفاسقون ، (١) ، فكان لا بد أن يتعامل أهل الإيمان على الخير والفضيلة لتسود حق لا تمكث فتنة ، ويكون الدين لله ، والمؤمنون والمؤمنات ، بعضهم أولياء بعض بالمعروف وينهون عن المنكر ، (٢)

والثاني : الدعوة إلى الإسلام تبنى عرض الإسلام كله ، وشرح كتاب جعله الله نبياً لكل شيء ، قال تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » ، (٣) وتقريب نبوة جعلها الله زيادة إلى ميادين الكمال الإنساني كله ، قال تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » ، (٤) ، لذلك لزم المصنف أن يكون منهج كل العدة من جميع العلوم الشرعية والإنسانية ، والأدبية ، حتى يقدر على تحمل هذا العبء واجتياز المردوب الصالح به .

والثالث : إن القبول الجاهل : والبدعة الحديثة ، والمحدث الموضوع ، والمحرقة المقدسة ، كل ذلك لون من ألوان عزوير الوهم ، وتصريف الحكيم من مواضعه ، والشهادة على الله بما لم يقل .

لهذه الأسباب وغيرها جاءت هذه الدراسة المتواضعة ، التي أتيت من خلالها ، بهان الطريق أمام القارئ بأمر الدعوة إلى الله - تعالى - كي

(١) سورة التوبة الآية : ٦٧

(٢) سورة التوبة من الآية : ٧١

(٣) سورة النحل من الآية : ٨٩

(٤) سورة الأنعام : الآية : ٢٧

يبدوا في دهورهم ، فيأبسونها ثوب الحسنة في العرض ، وذلك باظهار
الحقائق الثابتة السليمة ، وأخذ العبر والدروس المستفادة من أقوال الفقهاء
— فلكل مقام مقال ، ولكل وقت حال — تاركين الروايات الفاضلة ،
وأقوال المترشحين ، فالوقت قد آن في انهاء المفلسين في حقل الدعوة ،
الذين لا فقه لهم ، ونصروا أنفسهم دعاة ولكن بلا زاد . فضلوا
الطريق ، ولو قاموا بمرض فطرة افة في الانفس ، وكشفوا عن طبيعة
الوحى الأهل في مثل قوله تعالى : « لقد أرسلنا رسلاً بالبينات وأنزلنا
معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقيسط » (١) . ليكون أقوى وأجدى
في التوصل إلى الحق ، وأراحوا أنفسهم .

واختلافنا من هذا لا يدع وأن تبدأ دراستنا هذه من نقطة ثابتة
لا يختلف فيها اثنان كي نكشف عن هذا المراد من هذه الدعوة الخاتمة ،
أمام القائمين بأمرها . ليكونوا على بينة . فمن كان على بينة من ربه كن
زين له سورة حمه وانبعروا أهواءهم » (٢)

فإنقول وبالله التوفيق :

(١) سورة الحديد من الآية : ٢٥

(٢) سورة محمد الآية : ١٤

الرجوع إلى الفطرة ضرورة لمن قام بأمر الدعوة

بيان ذلك :

أن الإنسان بفطرته التي ولد بها . يدرك أن العدل حسن ، والظلم قبيح ، كما يدرك أن العلم مفخرة ، والجهل عار ومع تجارب الإنسان مع فطرته يمكنه إيجاد مجتمع قائم على قواعد وسبب أدنى إلى روح الدين ، أو أقرب إلى تعاليم الإسلام ، ذلك أن أسس الفطرة عقل سليم ، وقلب طاهر اق .

وسلامة العقل توجب احترام الحقائق ، وإدراك الواقع دون نقص أو زيادة ، كما توجب رفض الأوهام ، والوقوف بالظنون عند حدودها فلا تتحول النظرية إلى يقين ، ولا الأوهام إلى حقائق ... ذلك بالنسبة إلى العقل .

أما بالنسبة إلى القلب وطهارته ، فإن الفطرة السليمة تمنح إنساناً لا يهد نفسه ، ولا يتبع هواه ، ولا يتعامل مع الآخرين ... فلا يحق العبد ، والافتراء ، وسوء الظن بالآخرين ، ومحاولة الصمود على أنقاض الأبرياء والمضوم .

فهي — أي الفطرة — إذا كالحق تماماً لا يتغير ولا يتعدد ، لأنه خط مستقيم ، والخط المستقيم كما هو معلوم أنصر طريق بين نقطتين ، ومن ثم لا يكون إلا واحداً ، أما مع فقدان الاستقامة واختلاف البداية والنهاية ، فإن الخطوط الثلاثة لا تنحصر عدداً ..

وهذا فلا رشد ولا فلاح إلا في التزام الصراط المستقيم ، من أجل ذلك قاله — عز وجل — لنبيه — ﷺ — ولكل من تبعه

من المؤمنين الذين آثروا الفطرة السليمة : « متبعين إليه وأنقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون » (١) .

وليس معنى الفطرة أن الناس حين يولدون يخرجون من قالب واحد تصب فيه الطاقة فتخرج الإنسان الذي يعرف أصول دينه من عقيدة أساسها التوحيد المطلق ، وشرعية الحية مفصلة ، ومنهاج يسير عليه في الحياة ولو كان الأمر كذلك ما كان هناك تكليف ، وما كانت هناك نبوة ، ولكن الأمر عكس ذلك ، فالإنسان حين يولد يكون مستعداً لهذه الفطرة منذ نعوى في مجراها تدافع السبل إلى مستقره ... لكن العوائق قد تحول بين الإنسان وبين نظريته ، هذه العوائق أساسها ومصدرها البهائم المنحرفة .

دعاة يشوهون ولا يجهلون ، يهدمون ولا يبنتون :

فقد أشار النبي ﷺ — إلى أخطار البهائم المنحرفة التي تحول بين الإنسان وفطرته فتلوي زمامها عن التوحيد الخالص ، وأتت بها سبيل التعسيد والنشايث .. وهذا معلوم ومشاهد ، حيث نرى القديس الفاسد مولع بالتحريم ، راغب في تضيق المباحات ، وهذا دأبه ودينته ، كأنه يريد من خلال نعمته هذه إيجاد رجال يوافقون عقله وهواه ، وهذا طرب من الحال مخالف للفطرة التي خلق الله الناس عليها ، فمن عياض الجاهل أن رسول الله ﷺ — قال ذات يوم في خطبته ، ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم بما خلقني يومى هذا ، كل ما لم تخلقته عبداً حلالاً ، ولما خلقت عبادى حذفاء كلهم ، وإنهم أنتم الشياطين فاجتاتهم من دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ، وإن الله

نظر إلى أهل الأرض ففقههم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال
إنما بعثتك لأبطل بك ، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تفرقوا
إنما ويقظان ، وإن الله أمرني أن أحرق قریشاً ، فقلت رب إذا يثلغوا
وأمرني فدهوه خبزاً ، قال استخرجهم كما استخرجوك ، واغرم نورك ، وأتفق
خسنتفك عليك ، وأبعت جيبها بعت نعمة الله ، وقاتل بمن أطاعك من
عصاك ، قال وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل
رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ، ومسلم عفيف متعفف ذو هياء ، وقال :
وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعاً ، لا يبتغون أهلاً
ولا مالاً ، والمخائن الذي لا يعمل له طمع وإن دق إلا عابه ، ورجل لا يصبح
ولا يمسي إلا وهو يفتادهك عن أملاكه ومالك ، وذكر البهمل أو الكذب ،
والمنظير الضعاش ، ولم يذكر أبو خسان في حديثه وأتفق خسنتفك
عليك (١).

وقفة مع هذا النص النبوي :

أولاً : ظاهر الحديث يدل على أن النبي - ﷺ - قد قاله بهذا المعنى .
حينما تعددت قریش مراكب المظالمين ، وأرسلت كل ما تلك الفناء
على الإسلام ونبيه ، فأمر النبي - ﷺ - من ربه - جل وعلا - أن
يهد نفسه لمواجهة هذا الضلال وأهله .

ثانياً : الحديث فيه دعوة صريحة لرفض الجهل ، وكذلك النظرة
الضيقة التي تعزل الدين عن الواقع إنه يصنع حضارة في كل أوجها
الحياة ، حضارة تجدد وتتطور كلما تناهت الأجيال ، وتطورت البيئات
لأبجد رسوم وتمايز هائلة تتكرر نفسها دون جديد ... ١١

(١) صحيح مسلم ج ٨ ص ١٥٩ ك/ الجنة وصفة نعيمها ، ب/ الصفات التي
يصرف في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ،

يدل على ذلك قوله - تعالى - : «ألا إلى ربّي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم عما يعلن يومى هذا كل مال فطنته عبداً غلالاً ، هذا القول يتأكد من غلال قول الله - تعالى - : «هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً» (١) وقوله : «يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين» (٢) ، لقد سد الباب إذا أمام المولعين بالتحريم وضيق الخناق عليهم ، وبهذا فليس لآى أحد من البشر أن يحرم أو أن يندد فى التحريم ، فالقاعدة الأصولية تقول :

الأصل فى الأشياء الإباحة ... وتكليفها ... ولا تحريم إلا بنص .

ومبادئها :

التحريم الذى لا يكون إلا بنص قطعى ، والقرآن قد فصل لنا ما حرم علينا ، ولا مزيد من التحريم ...

والتحريم الذى لا يعتبر من التشريعات العامة إلا إذا كان النص الوارد فى شأنه قطعياً ووارداً موزعاً التكليف أى أن يكون قطعى الثبوت وقطعى الدلالة ...

فالإباحة قاعدة ... والتحريم استثناء .

والاستثناء لا يتوسع فيه ولا يقاس عليه (٣) .

فاللآء أن القرآن الكريم ليضع التوسع فى التحريم ، جنباً إلى جنبه مع الشرك بالله - تعالى - يقول سبحانه : «أما كذبنا على المؤمنين» سيقوله

(١) سورة البقرة من الآية : ٢٩

(٢) سورة البقرة الآية : ١٦٨

(٣) انظر : الأصل هو الإباحة - إبراهيم بن محمد القزوينى ص ١٤٢

الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء^(١) ،
وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا
ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل
إلا البلاغ المبين^(٢) .

والحديث الذي بين أيدينا يوضح هذا المفهوم ويجليه ، فقد جاء
بعضه نبوياً ، وبعضه قدسيا ، وفيه يقول — ﷺ — عن رب العزة سبحانه
: ولما خلقت عبادى حنفاء كلهم ، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل
به سلطانا ... وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وهمهم وإلهايا
من أهل الكتاب ... ، وفى هذا إشارة إلى الضلال الذى أطبق أهل
الأرض بهمهم قبل بعثة النبي — ﷺ — حيث لم ينبج منه إلا الأقلون ،
لقد طمست الفطرة ، واختفى وجهها تحت ركام من الضلالات والكهانات
التي لثرتها الجاهلية السائدة في العالم .

وهوذة بالناس إلى دين الفطرة ، يقول الله — تعالى — لنبيه — ﷺ —
: إنما بعثتك لأبطل بك ، وأبطل بك ، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله
الماء تقرأه نائما وبقظان ، .

وفى هذا إشارة إلى غلوة القرآن الكريم ، وبقائه ، إلى أن يرث الله
الأرض ومن عليها ، ومواجيت ، وغلبت عوامل الضر التي أضاعت بالكتب
الإلهية السابعة ، حيث تطرق إليها الفس ، والحر ، فطمست ولم يبق منها
إلا سيرتها الأولى ، وما جاء به القرآن الكريم ...

أما القرآن فقد تم حفظه بعوامل خالبت الزمن ، فلم يوكل حفظه إلى

(١) سورة الأنعام من الآية : ١٤٨

(٢) سورة النحل الآية : ٣٥

فته من البشر ، أو إلى طائفة من الخلق ، بل تكفل الله — تعالى — بحفظه ، حيث يمر بحفظه ، فاستوعبته الصدور ، فهو يهراق في كل زمان ومكان ، لا ينحصر من القيوب شيء . — إذ نحن نزلنا لذكر وإزالة الخفاء طون ، ^(١) .
• ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ^(٢) .

وفي ذلك دلالة واضحة على استمرارية حفظه ، من جيل إلى جيل واتصال ذلك بالنبي — ﷺ — الذي تنبأه من ربه — جل وعلا — بواسطة جبريل — عليه السلام ، بهذه العمية يكون التالى لكتاب الله — تعالى — والحافظ له ، أحد عن الله — عز وجل — لاتصاله بالسند ، وهذا حمل لم يتكرر لأى كتاب إلهى سابق ، ودليل قائم على استمرارية هذه الرسالة ، وبقياتها على من الدهور والأزمان في شتى بقاع المعمورة .

رابعاً : لا غرابة إن رأيت أن المراجعة لصاحب هذه الرسالة ، ومن آمن به شديدة فرية ، فأشد الناس بلاء ، لا يبيد ، ثم الأمثل والأتمثل ، كما أن العصمة لا تمنح الصفة .

لقد أنكر من سمع بهذه العقيدة — عقيدة التوحيد — رأياً معاداة ، صاحباً حينئذ أمر بالإفصاح عنها ، والتحدث بها ، وحملوا على إسفاف بورها ، وهذا ، أظهره قول الله تعالى : « ولئن يسكاد الدين كغيره ليرلقتك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون . وما هو إلا ذكر للعالمين » ^(٣) ، « يريدون أن يطغى نور الله بأهواءهم ويأتى الله بآية الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » ^(٤) .

(١) سورة الحجر الآية : ٩

(٢) سورة المعارج الآية - ١٧

(٣) سورة القم الأيتان : ٥٦ ، ٥٧

(٤) سورة التوبة الأيتان : ٣١ ، ٣٢

ولنسمع إلى هذا الجوار أنوار في الحديث الذي بين أيدينا ، حيث يقول — عليه السلام — « دوى الله أهرق ابن أهرق قريش ، فعلت : ربه إذا ينشروا وأبى يدعو منيرة سي أي يكبروه كالخبرة ، وهو أرغبه المغموم — قال : استخرجهم كما استخرج جوك وأغرم بولك — أي أضر بك وبعثك عليهم ونصرك — واقع منفق عليك وأنت جئت بعت خمسة منه ، وقال من أطاق من عصابة ، وهذا أمر عواجمة لأعداء وجميعهم ماكرهوه ، هذه المواجهة لأمي حد السب ، وعرق البوت وقنالم ، حيث لم يزم بقنال الله ، بن تقي البلاغ عن الله بأمر الدعاء ، والعمل على نشرها ..

حاشاً : يعنى بما الحديث فيصعب أن دوى العطرة السيمة ، التي لم يحاطها بالطل ، أو مرض حديد يخرجها عن نقائها ، فيقول — عليه السلام — « وأهل الجبه ثلاث ، ذو سلطان مفسد متصدق موهق ، ورجل رحيم وفي القلب لكل ذي طرف ومسلم وعديم منهيب ذوعبد ، وقال : « وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا يبر له — أي لا عقل له ، يسي السباء الزجاج — الذين هم فيكم تبه لا يتفرون أهلاً ولا حالاً — يعنى أصحاب الفراعين البدوى والبغى ، الذين استهلكتهم البطالة ، فلا يسمون إدياً أو ديناً ، والخنز الذي لا يخفى له طمع ، وإن لم يلا حقه ، وهذه هي صفة النوع الثاني من أهل النار ، ناس لا تفضلهم ثمانية ، ولا تفرهم حدود ، لا ترجمهم مسؤولية ، هم يتوسل ما يصل إلى أيديهم من حقوق الآخرين ، وقريب من ذلك النوع الثالث الذي يصعد الرسول — عليه السلام — بقوله : « ورجل لا يضح ولا يمس إلا وهو يظلمك من أهلك ومالك .

أما الصنف الرابع : فقد تردد الراوى فيه بين الجلاء والكذب ، وكلاما شر من صاحبه . الخامس : الضعفاء يفتن الظالمين لولا ، وبطله ، الذي لا خلق منه ولا خلق بهي الأبدان ، سبي الأعداء .

من هذا نعلم : أن أصحاب السار قوم غلبت عليهم الآفات النفسية .
فبما هم كل حق سوى يناشئ مع الفطرة السليمة ... وبدراسة الإسلام
دراسة واعية ، نجد أول ما يقابلنا من الأمور البدعية التي لا يختلف فيها
لثلاث موانع للفطرة الإنسانية ، ومسايرته لها ، حيث عمد إلى تركيز
الأسس ما وهما : الفكر المخصم ، والمعب السيم

ذلك أن خصامة الفكر ، وصح العقل ، ينتج عنه الإدراك الفهمي
الواسع المستط من أقوال المصوم - ﷺ - الذي من عبه كثير
من الخلق ، فشوهوا الفطرة السوية من خلال ركها الأول ، الذي يقول
فيه - ﷺ - : تعلموا العلم قبل أن يرفع . فإن أحدكم لا يدري ما يعتقر
إلى ما هذه ، وعيبكم بالعلم ، ولزكم والتطوع والتدع والتعق وعليكم
بالعقيق^(١) ، ويقول : وفيه واحد أشد على الشيطان من ألف هديد^(٢) ،
ويقول : من يرد الله به خيراً يدفعه في الدين^(٣) . فكم من أساء إلى
الإسلام ، قبل أن يهدي إليه ، مدعنه ، وجار عليه المتعصب بقصور
فهمه ، وقلة بصيرته ، وإن كان من المخلصين .

وكم من رجل حسن المعرفة ، وأسع الخبرة في مجال الدعوة ، ذكي الفهم ،
لكنه ذو هوى ورغبة في ورع ذاته ، وإظهار مكانته بين الناس ، فترأه
يعمل لذلك بقوة على حساب دينه ، ومصلحة جهاته ومستندبها

لهذا ولغيره فيض الله لهذا الذين أساءوا فرغهم لخدمته ، واستعملهم له .

-
- (١) رواه الديلمي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - (الجامع
الكبير - البرطلي - ٣٥ ص ٦١٢)
(٢) رواه الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس
(٣) رواه الإمام أحمد ، والترمذي عن ابن عباس ، وابن ماجه عن
أبي هريرة

وأقنأهم عن الناس ، وأعطاهم القوة في الفهم وحفظ ، فكأنوا أداة حفظ صحيحة لهذا الدين العظيم . فلم يبيعوا دينهم مديهم ولا يدياً ضيرهم ، ولم يتكسبوا بالعلم ، ولم يهروا وراء الدرهم والدينار ، حفظوا جيداً قول الرسول — ﷺ — أول الله في بعض الكتب (أو أوحى إلى بعض الأنبياء) :

« قل الذين يعفون لغير الدين ، وتعلمون انفسهم يعمل ، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ، يبدسون لئلا يسوء الكفاش ، وقلوبهم قلوب القذاب ، وألستهم أحل من العمل ، وقلوبهم أمر من المسبب ، لذي يحادون ، وفي استهزئون لا يبين لهم فتنة الدار الخليم فيهم حيراء » (١٢).

هلاك الأمة لإهمالها بنصه :

يقول ابن عطاء الله السكندري في حكمته : « أصل كل مصيبة وفصلة وشبهة برضا عن النفس ، وأصل كل طاعة رقيقة وعمرة عدم الرضا عنها ، لأن تصعب بما فلا لا يرضى عن نفسه حير لك من أن تصعب عالم لا يرضى عن نفسه بأي عمل العالم يرضى عن نفسه ؟ وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه » (١٣).

ويقول أيضاً : « الناس يمدحونك لما يظنونك بك ، فكأن أمت دائماً لنفسك لما تعلمه منها » (١٤).

-
- (١) رواه ابن عبد البر في كتابه « بيان العلم وفصله » ص ٢٢٩
 (٢) أنظر شرح ذلك في الجانب العاطفي من الإسلام — الشيخ محمد الغزالي — ص ١٣٨ ، الحكم ب ٣ ص ٦٩ ردود
 (٣) المصدر السابق ص ١٦١ ، الحكم ب ١٥ ص ١٣٩
 (٤) المصدر السابق ص ١٦١ ، الحكم ب ١٥ ص ١٣٩

ويقول ابن الجوزي في ذلك : « المصيبة العظمى رضي الإنسان عن نفسه ، وقتناعه بعله ، وهذه عنة قد صحت أكثر الخلق . . فتري كل ذي هوى يندى عليه ، وما لأنه مذهب أبيه وأمه ، أو لأنه ينظر نظرا أول ورآه صوابا ، ولم ينظر فيما ناقصه ، ولم يباحث المبدأ ليعينوا له خطأه ، ومن ههنا حار الخوارج على أمير المؤمنين - علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فلم يستحسنوا ما وقع لهم ولم يرجعوا إلى ما هم

ولما لعهم عبد الله بن عباس - رضي عنه - حين لم يرجع عن خطاهم ورجع عن مذهبه منهم ألقاوا بمن لم يرجع عن دواء ابن ملجم ، فرأى مذهبه هو الحق ، فاستحل قتل أمير المؤمنين - رضي الله عنه - ورآه دينا ، حتى أنه لم يفتأ أعصاؤه لم يجمع ، ولما طالب لسانه ليقطع الزرع وقال : كيف أتيت ساعة في الدنيا لا أذكر الله ... »

ومثل هذا دواءه (١) لقد انصرف بذلك عن مسلك المطرقة ، التي جبل عليها ابتدع لنفسه وإلى الله عز وجل أعنته ، وولاية [دعاها] وعلا ناقصا ألقى به ... لقد تصبر في مكانه ، وأهلق الذاب على نفسه ، وادهى الكمال طاء ، فاستخف بغيره واستقصه ، ولم يسمع منه ، مثل هذا دواءه ، لأنه فر خلق الله عن الأرض ، ولله شر الدواب عند الله أهم إليكم الذين لا يعقلون ، ولو علم الله بهم خيرا لاسمهم ولو أسهمهم لتولوهم منير مذكور (٢) .

(١) صيد الخاطر - ابن الجوزي - ص ٤٥٧ ٤٥٨

(٢) سورة الأنفال الآية ٢٦ ، ٢٧

(١١ - حواية أصول الدين بالمنوعة)

نبوة كاذبة ، وولاية محدودة ، وعلم مضل :

ولحق لا يشبه به ظل .. لكن قد يمويه «الظل عند من لا فهم له»
وهذا ظاهر في حق من يدعى النبوات ، وفي حق من يسعى الكرامات ،
وفي حق من يدعى العلم والمعرفة .

فلحق وإن كان واضحاً ومعلومًا ، لكنه لا يعرف إلا من صده :
وقد ينال : بالأصداق تباير الأشياء .. ولا يعطى ذلك إلا كل ليب
صبور ، يطرب الحق ويتبرصده من العدو قبل تصديق ، ومن الضمير قبل
الكبير ، فالحكمة صفة الحق من إن وجدها فهو الحق .

والأحداث خير شاهد على ما نقول .

لقد شهد القرن الأول من الدعوة الإسلامية أمثال هذه الادعاءات ،
خاصة بعد وفاة النبي ﷺ - قصد بدت الفرصة بمكة .. سواء
لم يدخلوا في الإسلام وهم يظنون غير ما يظهرون ، أو لم يدخلوا في
الإسلام - أصلاً - ونموا أن يهاوموه - لكنهم وجدوا أن المقومة
المستعدة - وحدها - لا يمكن منع هذا الدين من الانتشار . . فكان
همهم أن أدهى منهم النبوة ، من هؤلاء (صليبة الكذاب) في بني حبيمة
بالبحراء (والأسود العنسي) في اليمن ، و(طبيعة بن سويد) في قبيلة
أسد . . . وقد ظهرت في بني تغلب امرأة ادعت النبوة تدعى (سجاح)
بنت الحارث بن سويد) . .

الكذاب لا يوضحه إلا كذاب مثله :

لقد ادعت (سجاح التميمية) النبوة بعد وفاة رسول الله ﷺ -
.. واجتمع عندها بو تميم لنصرتها ، وكان فيها أدعت أنه ذل عليها :

«أيها المؤمنون للتقون، لنسا نصف الأرض، ولقرش نصفها، ولكن
 تخريشا قوم يغنون، وكان ممن اجتمع إليها الأحنف بن قيس، وحارثة ابن
 بدر، ووجوه بني تميم، وكان مؤلفها شبيب بن ربيع الرياحي، فمعدت
 في جيشها إلى مسيلة الكذاب وهو باليمامة، فقالت: يا معشر بني تميم،
 اقصدوا اليمامة، فاضربوا فيها كل هامة، واضربوا فيها ناراً ملهامة، حتى
 تتركوها سوداء كالحماسة، ويلبغ مسيلة خروجه، فصاق به ذرعاً،
 وتمحصن في حصن (حصن باليمامة)، وأرسل إلى وجوه قومه يسألهم ماذا
 يفعل؟ فأجابوه بأن يسلم هذا الأمر إليها.

وكان مسيلة دامية يعرف حالها، فأرسل إليها قائلاً: وإن الله يبارك
 وتعالى أنزل عليك وحياً، وأنزل على وحياً، فهلي تجتمع فتتدارس
 ما نزل علينا، فنعرف الحق بآبائهم، واجتمعنا ما كنا نلعب أكلاً بتوسى
 وقومك.

فبعثت إليه افعل، فأمر بقبة آدم فضربت، وأمر بهرد فبخر فيها،
 وقال أكثرها من الطيب فإن المرأة إذا شمّت الطيب ذكرت الباه،
 ففعلوا ذلك.

وحلت اللحظة الخامسة، واجتمع الكاذبان... ودارت بينهما المناقشات
 وطال الحديث بين الاثنين... وإذ بها — في النهاية — وقد ظهر كل منهما على
 حقيقته... فرأى مسيلة، وسجاح، وبين الرجل، ورايت وسجاح، ومسيلة،
 وبين المرأة، وقبلت الزواج منه كالم يتوقع أحد!! فانتضعت عند العلام
 من أصحابها فقال منهم عطاء بن حجاب:

أضحت عيتنا أنش يطاف بها

وأصبح الناس يذكرواها

فلعن الله رب الناس كلهم
على سجاج ومن بالاك أخوانا
أضى مسيلة الكذابين لا سقيت
أصدائه من رصيت حينا كاه^(١)

عند هذا الحد وضعت سجاج، نهاية لا كاذبها... أما مسيلة، فكان
له شأن آخر، فقد أعد أبو بكر - رضى الله عنه - وكان خليفة المسلمين
الجيش لمحاربة المرتدين عن الدين، ومنهم هؤلاء الذين يتبعون
أدعياء النبوة.

وقاد خالد بن الوليد الجيش الذى التقى بمسيلة وجنوده... فى معركة
اليمامة، وفيها قتل مسيلة، ومن قبله مالك بن نويرة، ولم يبق على قيد
الحياة غير سجاج، الذى أسلمت أخيراً، وبالرغم من موت سجاج التيمية،
وغيرها من مدعى النبوة، فإن مسيلة مازال موجوداً، وويل للمسلمين
من فتواه ودهائه وحيله... فعن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله
ﷺ يقول: دليان بين يدي الساعة كذابين، وزاد فى حديث أبي
الأسود قال: فقلت له أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ - قال
نعم^(٢)، وعن أى سريرة عن النبي - ﷺ - قال: لا تقوم الساعة
حتى يمشك دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه
رسول الله^(٣).

(١) النظر الأغانى - الأصمغاني - ج ١ ص ١٦٥، ١٦٧، مختار الأغانى

ابن منظور ج ٢ ص ٢٩٧، ٢٩٨

(٢) صحيح مسلم ج ٨ ص ١٨٩ ك/الفتن، ب/ لا تقوم الساعة حتى يمر

الرجل بغير الرجل

(٣) المحدثون السابق - نفس الصفحة -

ذلك أن الانحراف العفائي، والمعوج الفقي، ما هو إلا ثمرة من ثمرات
الدين المغشوش، الذي أشار إليه المولى — سبحانه — بقوله: «إن الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء» إنما أمرهم إلى إقحام دينهم
بما كانوا يفعلون^(١)، وقوله: «ولا تكونوا من المشركين»، من الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا^(٢)، فالدين وحدة واحدة - عقيدة، وشرعية،
ومحتاج حياة بين الأفراد والجماعة - لا يعرف التجزؤ والتفرق، قال تعالى: «
وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا
الزكاة وذلك دين القيمة»^(٣).

وقال سبحانه: «وشرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا
إليك وما وصىنا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه»^(٤).

إن هذا التفرق والانحراف الثاني، بين الأفراد والجماعات، إنما جاء
النتيجة قصور في الإدراك العقلي، وعدم إلمام بالخلاف الفقي، الذي
لا يرمي بين المؤمنين أخوة، ولا يحدث وفيقة، والخلاف إذا نصب
إنما يكون لأسباب وجبة، وإبداع عقل مضبوط بالكتاب والسنة،
لكن هؤلاء تمكن وراء خلافاتهم هل تستحق الكشف...

ذلك أنهم قوم يمتنون وقرع الخطأ من الناس، حتى إذا دلت أقدامهم
وثبوا على الخطيئة، وظاهر أمرهم الغضب لحدود الله - تعالى - أما
باطنهم فالتفيس من رغبات الوحش المفترس المكلف في وعائهم، يريد
أن يتبع المادة، ويمرق أدبهم....

(١) سورة الأنعام الآية ١٥٩

(٢) سورة الروم من الآيتين ٣١، ٣٢

(٣) سورة البينة الآية ٦

(٤) سورة الشورى من الآية ١٣